أثر السياسة في الأبجدية
"العربية أنموذجاً"

مقبل بن علي الدعدي

جامعة أم القرى

مقدمة

الأبجدية هي ترميز اللغة كتابياً، وذلك بوضع رموز كتابية للأصوات، ومن المسلم به أن كتابة اللغة مرحلةٌ متقدمةٌ في حضارة الأمم، فالشعوب البدائية لغتها منطوقة غير مكتوبة. وإنّ الأبجدية تهيء للأمة فرصةَ المحافظة على ثقافتها من الضياع، بها تنتقل الثقافة من جيل إلى أجيال متلاحقة، وبدونها تظل الثقافة محصورةً في صدور الرجال، وأذهانهم، مع موت كل رجل يغيب جزء منها، وهي أيضا تساعد على انتشار الثقافة خارج محيطها، فلا سبيل لنشر الثقافة، وديمومتها، وتخطي البعدين المكاني والزماني إلا من خلال ترميز اللغة، وأبجدتها. إنّ الحديث عن أهمية الأبجدية في تاريخ البشرية ضرب من العبث، فأهميتها من أوضح الواضحات، وما أصعب توضيح الواضح!، ولعل في البحث مايثبت ذلك، وإن كنت على يقين أن القارئ يعلم أهمية الأبجدية قبل أن يطلع على البحث.

ليس لكل لغة أبجدية خاصة، بل تشترك كثير من اللغات في أبجدية واحدة، وقد تنتقل الأمة من كتابة لغتها بأبجدية إلى أبجدية أخرى، وهذا ما تحدثنا به الكتب التاريخية، ويصدقه الواقع، بل قد استخدمت بعض الشعوب أكثر من ثلاث أبجديات في عصور متلاحقة، وسأذكر في هذا البحث أمثلةً على ذلك.

إن الأبجدية العربية مع اللاتينية تشكلان أقوى وأشهر أبجدتين في العالم، فقد كانت الأبجدية العربية تكتب بها أكثر من مئة وعشر لغات إلى العقد الرابع من القرن العشرين حيث عمل الاستعمار على تغيير كثير من أبجديات هذه اللغات(١).

وقد جعلتها هي الأنموذج لهذه الدراسة؛ لأنها كما ذكرت من أقوى أبجديات

(١) يوسف الخليفة أبو بكر/ الحرف القرآني في لغات الشعوب الإسلامية، وثقافتها/ ص ١١موقع الحرف العربي المنمط

http://alharfalarabi.org/Papares.asp

العالم بشهادة المسلمين، وإقرار غيرهم يقول روبنسون صاحب كتاب "قصة الكتابة" : "اليوم تعتبر الكتابة بالحرف العربي أفضل الكتابات في العالم وذلك يرجع إلى أنه حرف الإسلام المقدس"(١).

ومرور الأبجدية العربية بمراحل بين انتشار، وانحسار، ومدّ وجزر يجعلها مادة صالحة للدراسة، وأنموذجاً مناسباً لاختبار فرضيات البحث.

ولصعوبة الوصول إلى مراجع الأبجديات الأخرى، ولأن الاقتصار عليها يحقق النتائج المرجوة من البحث، فالبحث لا يعنى بحصر الأبجديات، واستقراء ما تعرضت له من تعديل، وتغيير.

ومع اقتصاري في البحث على الأبجدية العربية إلا أنني سأحاول ضرب أمثلة ببعض الأبجديات الأخرى ما أمكن للمقارنة، وما تقتضيه مصلحة الدراسة.

مشكلة البحث، وأسئلته:

بعد أن بينت في المقدمة أهمية الأبجدية، وتغييرها نأتي إلى مشكلة البحث، وهي عن علاقة الأبجدية بالسياسة، فإذا ثبتت أهمية الأبجدية في حضارة الأمم، وكذلك ثبتت إمكانية تغيير الأبجدية، فهل للسياسة دور في ذلك التغيير؟

هل السياسة تؤثر في الأبجدية؟

هذا هو سؤال البحث، والذي أحاول ـ بعون الله ـ إجابته، وتتفرع عنه أسئلة عدة:

- ما المقصود بالسياسة ؟
- هل لتغيير الأبجدية علاقة بالسياسة؟
- هل لإصلاح الأبجدية، وتعديلها علاقة بالسياسية؟
- هل للسياسة دور في حماية الأبجدية؟
- اكتسح الاستعمار بلاد المسلمين فهل أثر على الأبجدية العربية؟

(١) السابق/ ص ١٧

– لماذا تهتم السياسة بالأبجدية؟

– أيُعد اهتمام السياسة بالأبجدية ضرباً من العبث، والاشتغال بما لا فائدة فيه؟

– ما علاقة الأبجدية بالهوية؟

– ما علاقة الأبجدية بالاستقلال؟

– هل لتعدد الأبجدية في الأمة الواحدة دور في تفرقها، وتشتتها؟

– هل الأبجدية العربية بمعزل عن التغيير، وفي مأمن منه؟

– أكلّ سياسة تدخلت في الأبجدية نجحت في تحقيق مرادها، أم هناك سياسات فشلت، فلم تؤثر؟

– أليست الأبجدية رموزاً للغة، فإذا كانت الغاية نشر اللغة، والثقافة بأي أبجدية، فلماذا تُضخم هذه القضية؟

– ما الذي سيعود على العربية، وعلى الإسلام إذا انتشر الحرف العربي؟

فرضيات البحث:

الفرضية الأولى التي ينطلق منها البحث: أنّ للسياسة أثراً في الأبجدية: في تغييرها، وفي حمايتها، وفي تعديلها، وإصلاحها، فالأبجدية مؤثرة في تشكل حضارات الأمم، ولها من الأهمية ما يجعلها هدفاً لكل سياسة.

الفرضية الثانية: عكس الأولى، فالسياسية لا تهتم بالأبجدية، ولا تلتفت إليها، ولا يعنيها ترميز اللغة بأي أبجدية كانت.

الفرضية الثالثة: تجعل للسياسة تأثيراً في تغيير الأبجدية، وحمايتها، أما الإصلاح، والتعديل فلا، فللناس ما تعارفت عليه، وأقره الخبراء.

وهناك فرضيات أخرى تتعلق بمسائل جزئية في البحث لم أذكرها هنا ؛إذ رأيت الاقتصار على فرضيات البحث الرئيسة التي تدور حولها مشكلة البحث.

وقد قسمت المادة العلمية للبحث إلى العناصر الآتية:

١- أثر السياسة في تغيير الأبجدية.

٢- أثر السياسة في حماية الأبجدية.

٣- أثر السياسة في تعديل الأبجدية، وإصلاحها.

٤- الأغراض السياسية، والأهداف الأيدلوجية لتدخل السياسة في الأبجدية.

٥- الخاتمة.

أثر السياسة في تغيير الأبجدية :

في هذا المحور سأذكر نماذج لسياسات تدخلت؛ لأجل تغيير الأبجدية، وأكرر التنبيه السابق، وهو أنني غير ملزم باستقراء كل أبجدية، وذكر تاريخها، وحصر التدخلات السياسية فيها، فيكفيني ما يثبت الفرضية فقط، أما التنبيه الآخر فهو متعلق بمفهوم السياسة، وأعني بها: "رعاية شؤون الدولة الداخلية والخارجية... وتعبر السياسة عن عملية صنع قرارات ملزمة لكلّ المجتمع تتناول قيماً مادية ومعنوية وترمز لمطالب وضغوط، وتتم عن طريق تحقيق أهداف في ضمن خطط أفراد وجماعات ومؤسسات ونخب حسب أيدولوجيا معينة على مستوى محلي أو إقليمي أو دولي"(١).

هذا التعريف من أشمل تعريفات السياسة، ويتوافق مع مراد الباحث ودراسته، فعلى هذا يكون المراد بالبحث دراسة أثر الراعي لشؤون الدولة في الأبجدية سواء أكان الراعي رئيس الدولة، أم الخليفة أو من ينوب عنهما من وزراء، وإدارات، ومؤسسات، وغيرها من أجهزة الدولة.

من أشهر النماذج الدالة على تدخل السياسة في تغيير الأبجدية النموذج التركي، فقد كانت اللغة التركية تكتب بالأبجدية العربية كغيرها من لغات الشعوب الإسلامية حتى وصول مصطفى كمال (أتاتورك) للرئاسة عام ١٩٢٣م،

(١) وكيبيديا الموسوعة الحرة مادة "سياسة".

وأصدر قرارات عدة يزعم أنها للإصلاح اللغوي كانت في حقيقتها معادية للعرب، والإسلام، وذلك غير مستغرب منه فلم يصل إلى الرئاسة إلاّ بدعم من الحركة العلمانية المعادية للتوجه العثماني الإسلامي، ومن أبرز القرارات المتعلقة باللغة:

– إنشاء لجنة لغوية عام ١٩٢٨م لوضع أبجدية تركية جديدة. أُقرت هذه اللجنة فوراً، وأُستخدمت في التعليم، وبصورة تدريجية في إدارات الدولة.

– أُلغي تعليم العربية، والفارسية في المدارس عام ١٩٢٩م.

– إلزام المسلمين قراءة القرآن بالتركية ابتداء من عام ١٩٣١م.

– أنشئت عام ١٩٣٢م مجمعية دراسة اللغة التركية؛ لتخليص اللغة التركية مما اقترضته من العربية، وغيرها من اللغات(١).

إنّ في عمل مصطفى أتاتورك دليلا على قدرة السياسة في التأثير على اللغة: في مكانتها، ومفرداتها، وكذلك في ترميزها، وقد تحولت كتابة اللغة التركية بالأبجدية العربية إلى اللاتينية، وغابت كثير من الألفاظ العربية من الاستعمال التركي بقرار سياسي، وبغض النظر عن اختلافنا مع أتاتورك، وعدائنا له، ولسياسته المحاربة للإسلام، وكلّ ما له صلة به إلا أنّ الرجل نجح في إقرار سياسة لغوية تحقق له أهدافه، واستطاع عزل الشعب التركي عمّا يربطه بالإسلام، والمسلمين؛ وجفف منابع الدين؛ ليظهر جيلٌ لا يشعر بالانتماء للأمة الإسلامية.

ولننتقل إلى نموذج آخر يبين لنا بجلاء علاقة الأبجدية بالسياسة، وهو كتابة اللغة الألبانية، فقد تداخلت فيه سياسات عدة من داخل الدولة، وخارجها، فتدخلت دولٌ، وتصارعت جماعات من أجل فرض أبجدية تكتب بها اللغة الألبانية، و قد جعلت الحديث عن أبجدية اللغة الألبانية في عناصر مختصرة من كتاب "الثقافة

(١) لويس جان كالفي/ حرب اللغات والسياسات اللغوية/ ترجمة: حسن حمزة/ المنظمة العربية للترجمة/ ص ٢٦٢ وما بعدها (بتصرف).

الألبانية في الأبجدية العربية" للدكتور محمد موفاكو(١)؛ لمعرفة أبعاد القضية، ودور السياسة فيها، وتجربة الدكتور موفاكو في كتابة هذا التاريخ تستحق الإشادة، وجديرة بالاهتمام، وحري بالباحثين في الدول الإسلامية عمل دراسات مماثلة:

– انتشرت العربية بأبجدتيها مع انتشار الإسلام، وقد ارتبط تعريب الألبانية بالدين، وذلك من خلال المدارس الدينية.

– بعد دخول الأبجدية العربية أصبحت تكتب اللغة الألبانية بثلاث أبجديات أساسية: أقلية أرثوذكسية في الجنوب تكتب بالأبجدية اليونانية، وأقلية كاثوليكية في الشمال تكتب باللاتينية، أما الغالبية فقد تحولت إلى الكتابة بالعربية، و إلى الكتابة من اليمين إلى اليسار.

– وفي القرن التاسع عشر بلغت كتابة الألبانية بالأبجدية العربية أقصى انتشار لها جغرافياً، وإنتاجاً ثقافياً، فكثر الإنتاج الأدبي، والعلمي المكتوب بالعربية.

– وفي نهاية القرن التاسع عشر تطور موضوع الأبجدية بسبب تدخل أطراف خارجية تدعم إحدى الأبجديات؛ لتحقيق مصالحها، ومن أبرز التدخلات الخارجية التدخل النمساوي والإيطالي، وكلاهما يراهن على دعم الأقلية الكاثوليكية، والاهتمام بلغتهم، وفتح المدارس المختلفة التي تعلّم الألبانيين لغتهم، ولكنها بالحروف اللاتينية، وهذا التصرف أغرى الشعب الألباني، وجعلهم يثقون في هذه المدارس، وكأن هدفها ـ في نظرهم ـ مصلحة الشعب، وتعليمه، وتثقيفه، ولعل هذه الثقة كانت هدف المدارس النمساوية، والإيطالية في تلك المرحلة، وفي المقابل كانت الإدارة العثمانية تمنع من تعلّم اللغة الألبانية، ولو بالحروف العربية في المدارس التابعة لها.

– ازداد الصراع حول الأبجدية الألبانية، وفي عام ١٩٠٨م عُقد مؤتمر في مدينة

(١) محمد موفاكو/ الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية/ عالم المعرفة.

مناستير دعيت إليه خمس وثلاثون شخصيةً مع تهميش المتعاطفين للأبجدية العربية؛ لذلك لم تكن الأبجدية العربية ضمن الخيارات المطروحة، بل دار النقاش حول ثلاث أبجديات كلها تعتمد على الحروف اللاتينية.

– فاجأ قرار المؤتمر الإدارة العثمانية والمثقفين من أنصار الأبجدية العربية، فقررت الإدارة العثمانية الخروج من صمتها السابق، وحيادها، فدعمت الأبجدية العربية، وتمت الدعوة إلى مؤتمر آخر في عام ١٩٠٩م، وقد انتهى المؤتمر لصالح الأبجدية العربية.

– بقي الصراع بين أنصار الأبجدية العربية من جهة، واللاتينية من جهة أخرى، والتقل من صفحات الجرائد، والمجلات إلى الشارع، وذلك بتنظيم المظاهرات، والحفلات.

– وفي عام ١٩١٢م انقلب الوضع في ألبانيا بعد الحرب البلقانية التي دارت بين الدول البلقانية المتحالفة من جهة، والإمبراطورية العثمانية من جهة أخرى، فقد انتهت الحرب بهزيمة العثمانيين، وقد تخلت الدولة العثمانية عن مناطق شاسعة كانت تابعة لها، وفي هذه الظروف قامت مجموعة حول مدينة مفلورا، وأعلنت الاستقلال بتأييد من النمسا، ومنذ البداية تبنت هذه الحكومة الأبجدية اللاتينية، وفرضتها على الألبانيين.

هذا ما حدث ـ باختصار ـ للأبجدية العربية في ألبانيا، وهو نموذج يختلف عن النموذج التركي، فالأخير تدخلت سياسة واحدة، وإرادة واحدة، وهي استبدال الأبجدية اللاتينية بالأبجدية العربية، فلم تواجه هذه السياسة مقاومة، بل وجدت بيئة مناسبة للتغيير.

أما في الحالة الألبانية فالوضع مختلف تماماً، فكما ذكرنا الساحة الألبانية شهدت صراعات، من الداخل، والخارج، وفي الأخير كانت الغلبة لأبجدية الأقوى الذي فرض السيطرة على ألبانيا.

وكذلك من الأبجديات التي تأثرت بالسياسة الأبجدية العربية في اللغة الملايوية، وتنسب هذه اللغة إلى الملايو، "وهو اسم لشعب يقطنون في أرخبيل الملايو منذ قديم الزمان"(١)، وهي: "منطقة تشمل ماليزيا، وسنغافورة، وبروناي، وإندونيسيا، والفلبين"(٢).

دخلت الأبجدية العربية مع التجار المسلمين الذين نشروا في تلك البلاد الإسلام، ولم تفرض عليهم سياسياً، ولكن الحرف العربي "استخدم في بداية الأمر لكتابة التعاليم الإسلامية، ثم أصبح حرفاً رسمياً لكتابة اللغة الملايوية"(٣).

و" كانوا - أي الملايويين - قبل وصول الثقافة الإسلامية لا يعرفون الأدب المكتوب، بل كانوا يمارسون الأدب اللساني، يتناقلون الحكايات، والتواريخ - عن طريق المشافهة - ... وأما الأدب الملايوي المكتوب فلم يظهر إلا في العصر الإسلامي بعد استخدام الحرف القرآني"(٤).

وقد عمل الملايويين على تعديل الأبجدية بما يتوافق مع لغتهم، ويمثل أصوات حروفهم حتى مجيء الاستعمار الإنجليزي، والهولندي، وانتشاره في تلك المناطق، ففي أندنويسيا صدرت اللائحة الرسمية للأبجدية الملايوية، والتي قررت كتابة اللغة الملايوية بالأبجدية اللاتينية، "وفي عام١٩٠٤م أُدخلت الحروف اللاتينية في اللغة الملايوية، واحتلت هذه الحروف مكانة الحروف العربية، ونالت حظها"(٥).

وبهذا تحولت كتابة اللغة الملايوية في تلك البلاد من الأبجدية العربية إلى

(١) محمد زكي عبدالرحمن/ إشكاليات استخدام الحروف العربية(الحرف القرآني) في ماليزيا/ص٢/ موقع الحرف العربي المنمط.

(٢) السابق/ ص ٢.

(٣) روسني بن سامة حمدالله بن صالح/ تطور استخدام الحرف القرآني للكتابة الملايوية/ ص ٢ / موقع الحرف العربي المنمط.

(٤) السابق/ ص ٣

(٥) السابق/ ص٧

اللاتينية على يد المستعمرين، و قد تكرر هذا الفعل في أقاليم إسلامية عدة خصوصاً في القارة الإفريقية، فعلي سبيل المثال اللغة السواحلية، وهي لغة وطنية، ورسمية، لكثير من الدول الواقعة في شرق إفريقيا (تنزانيا، وأوغندا، وكينيا، والصومال، وجزر القمر، وموزمبيق..).

قد كانت تكتب قبل الاستعمار بالحروف العربية، وقد قام المنصّرون الألمان بتحويلها إلى الكتابة بالأبجدية اللاتينية.

ومثلها لغة الهوسا، واليوربا "ظلت الهوسا تكتب بالحرف العربي منذ عهد جهاد السلطان عثمان دان فوديو في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي. وتسمى هذه الكتابة بالعجمي، وكانت تدون بها الآثار الأدبية والدينية. أما كتابة الهوسا بالحرف اللاتيني، فقد نشأت مع الاستعمار البريطاني لنيجيريا في مطلع هذا القرن"(١).

أما اليوربا فـ "هي إحدى اللغات الثلاث الرئيسية في جمهورية نيجيريا الاتحادية، وتنتشر في الإقليم الجنوبي الغربي لنيجيريا، وتمتد إلى داخل جمهورية بنين الشعبية. وعلى الرغم من وصول الدعوة الإسلامية في وقت متأخر نسبياً إلى إقليم اليوربا الاستوائي، إلا أنه يمثل الآن نسبة تتراوح بين ٦٥٪ و٧٠٪ من مجمل شعب اليوربا. ومع انتشار الإسلام تسربت مئات الألفاظ المقترضة من العربية إلى لغة اليوربا واصطنع الحرف القرآني في كتابتها، ولم تكن تعرف حرفاً غيره حتى مجيء الاستعمار الإنجليزي، الذي أدخل الحرف اللاتيني في الكتابة"(٢).

ولعل تغيير الأبجديات إستراتيجية استعمارية، فمع دخول المستعمر تبدأ المتغيرات في هوية البلد، وسنعرض لأغراضه في محور لاحق، وما يهمنا هنا تأثر الأبجدية بالاستعمار.

---

(١) موقع الحرف العربي المنمط.

(٢) السابق.

ومن تدخلات المستعمرين في الأبجدية ما أصدره الحاكم العسكري البريطاني حيث أصدر" أمراً عسكرياً بأن تكتب الأردية بالخط الناكري ـ خط كانت تكتب به لغات الهند القديمة ـ في كل من مقاطعة البنغال، وبهار، وأريسة، وبعض المقاطعات الأخرى"(١).

وقد عمل الاحتلال النمساوي على تغيير الأبجدية العربية في البوسنة، فقد "كان البوسنيون يكتبون ويؤلفون ويقرءون اللغة البوسنية التي تنحدر من أصل سلافي بالحروف العربية، وعُرفت باسم لغة "البوسانشيتسا"، وهذه اللغة كانت غنية بمفردات عربية الأصل، كما يظهر من المخطوطات النادرة التي تحتضنها مكتبة "غازي خسروف بيك" في سراييفو. يقول الدكتور "جمال الدين لاتيتش" أستاذ التاريخ في جامعة سرايفو: "إن مسلمي البوسنة ظلوا يستعملون لغة البوسانشيتسا حتى مجيء الاحتلال النمساوي للبوسنة؛ حيث ألغى الاحتلال استعمال الحروف العربية، وأحل محلها الحروف اللاتينية، وأصبح البوسنيون في يوم وليلة أميين؛ لأنهم لم يكونوا على معرفة بالحروف اللاتينية"(٢).

وللاتحاد السوفيتي خطة نفذها في تغيير أبجديات الدول الإسلامية التي استحلها تدل على ذكاء الإدارة السوفيتية، وهي العمل بمبدأ التدرج، فلم تستبدل الأبجدية العربية بالروسية مباشرة، و إنما طالبت الدول بتغير أبجدياتها إلى اللاتينية، والذي أغضب المسلمين، لكنه كان يواجه بالقوة، وبدعوى التطور، وأن الحرف العربي هو سبب الجهل، والتخلف، ولبيان حسن نية الإدارة الروسية لم تواجه تلك الأقاليم بفرض أبجدية اللغة الروسية (السيريلية) مباشرة، وكان الصالح العام هو المحرك لهذا القرار، وما علم المسلمون أن هذا القرار مؤقت، فبين

(١) محمد علي غوري/ الحرف القرآني في باكستان بين فكي الرحى/ موقع الحرف العربي المنمط.

(٢) محمد الصاوي/ كتابة الحروف العربية باللاتينية: الأبعاد السياسة والتربوية/ ص ٢٨/ بحث منشور على الشبكة.

عامي ١٩٣٥و١٩٤٠م ظهرت سياسة الاتحاد في الأبجديات، واعتمدت (السيريلية) أبجدية تكتب بها لغات الاتحاد السوفيتي(١).

وما تزال الحرب على الأبجدية العربية مستمرة، فأعداؤها يتربصون بها يحاولون طمسها، أو إضعافها، ومن ميادين الحرب على الأبجدية العربية: تركستان الشرقية (شينجيانغ)، وهي دولة مستقلة قامت الصين باحتلالها، واعتبارها مقاطعة صينية، وقد ذاقت صنوف العذاب من الحكومة الصين؛ لتغيير هويتها، والتخلي عن الإسلام، وأكتفي بذكر أبرز صور الاضطهاد، والظلم، والاستبداد، وأحيل من أراد الاستزادة إلى الكتيب التعريفي لشعب الإيغور المنشور على الشبكة، وهي:

١- حضر التعليم الإسلامي في المساجد تماماً، حيث أخذت السلطات الصينية تعهدات خطية مشددة من أئمة المساجد بعدم تجميع أطفال المسلمين، وتعليمهم علوم الإسلام في المساجد.

٢- منع بناء المساجد.

٣- منع رفع الأذان من مكبرات الصوت.

٤- منع طبع الكتب الإسلامية، أو إدخالها إلى "تركستان".

٦- منع نشر المقالات الإسلامية في الصحف، أو إذاعتها في الراديو، والتلفزيون.

٧- منع استخدام الأحرف العربية في الكتابة.

٨- تطبيق قوانين أحوال شخصية تخالف أحكام الشريعة.

٩- إخضاع المدارس للمناهج التعليمية الصينية دون اعتبار للخصوصية الدينية، والعرقية(٢).

يصعب التعليق على كل نموذج على حدة؛ لأنها متشابهة في المقدمات،

(١) لويس جان كالفي/ حرب اللغات والسياسات اللغوية/ ص ٣٠٩

(٢) تركستان الشرقية (شينجيانغ) كتيب تعريفي بشعب الإيغور المسلم ودولة تركستان المحتلة/ منشور في الشبكة.

والنتائج، فما قيل عن مصطفى أتاتورك، وسياسته في محاولته القضاء على الإسلام، واقتلاع جذوره من تركيا يقال هنا، وملة الكفر واحدة، وليست هذه الأهداف وليدة هذا العصر، بل العداء للأمة الإسلامية، وما يتصل بها من حضارة، وثقافة قائم منذ نزلت (اقرأ) على محمد ﷺ، واقرأ ما سطره محمد عبد الله عنان عن مأساة المسلمين في الأندلس، فقد وقع على المسلمين، وتراثهم أبشع أنواع الطغيان، والاستبداد، فأُجبر المسلمون على التنصّر، وأُجبروا على الهجرة، وحُرق تراثهم، وأُجبروا على ترك لسانهم، فقدصدر في سنة ١٥٢٦م قانون يحرم على الموريسكيين - وهم العرب - التخاطب باللغة العربية، وإظهار كل ما يدل على هويتهم الإسلامية العربية من ملابس، وحفلات على الطريقة الإسلامية، وغيرها من المظاهر الدالة على إسلاميتهم، وعروبتهم، ولكنّ هذا القرار لم ينفذ؛ لأنّ الموريسكيين طلبوا وقف تنفيذ هذا القرار أربعين عاما مقابل ضريبة عالية إلى أن جاء فيليب الثاني، و"كان ملكاً شديد التعصب، كثير التأثر بنفوذ الأحبار، وكانت الكنيسة ترى أنّ بقاء اللغة العربية من أشد العوامل لمنع تغلغل النصرانية في نفوس الموريسكيين، وأنه لابد من القضاء على ذلك الحاجز الصخري الذي تتحطم عليه جهود الكنيسة؛ وكانت قد مضت فوق ذلك أربعون عاماً مذ صدر قانون التحريم في عهد الإمبراطور شارلكان، ولم يبق للموريسكيين بذلك حجة ولا ملتمس، وانتهت الكنيسة كالعادة بإقناع الملك بصواب رأيها، فلم يلبث أن استجاب لتحريضها، وأمر في مايو سنة ١٥٦٦م بأن يجدد القانون القديم بتحريم اللغة، والثياب العربية، وهكذا حاول بطريق التشريع أن يسدد الضربة الأخيرة للغة الموريسكيين، وتقاليدهم العربية، فأصدر هذا القانون الهمجي الذي لم يسمع بصدور مثله في تاريخ المجتمعات المتمدنة"(١).

(١) محمد عبد الله عنان/ دولة الإسلام في الأندلس/مكتبة الخانجي بالقاهرة/ ط الرابعة/ ج ٥ نسخة إلكترونية (الوقفية)/ ص ٣٥٨

وقد أمهلَ المسلمين ثلاثة أعوام يتعلمون فيها اللغة القشتالية، ثم يتم تطبيق النظام، ولا يسمح لهم بالتخاطب، أو الكتابة، أو القراءة بالعربية في شؤونهم الخاصة فضلا عن العامة، والمعاملات المكتوبة بالعربية باطلة.

هذا النص لا يحتاج إلى مزيد توضيح وتعليق، فقد كان أمر العربية، وأبجديتها متعلقاً بالقرار السياسي؛ بقرار سياسي تأجل القضاء عليها أربعين عاماً، وبإصرار السياسي في تنفيذ القرار القاضي بتنحية العربية تم ما أرادته الكنيسة.

وأكتفي بهذه النماذج الدالة دلالة واضحة على تأثير السياسة في تغيير الأبجدية، وما لقيته الأبجدية العربية من تراجع بعد انتشار، وتوسع.

أثر السياسة في حماية الأبجدية:

تدخل الإدارة العثمانية في قضية الأبجدية الألبانية التي ذكرتها في المحور السابق كان من أجل حماية الأبجدية العربية، فقد شعر العثمانيون بالخطر على الأبجدية العربية، وقد لمسوا تراجعها بعد أن كانت أقوى الأبجديات، وأكثرها انتشاراً قبل تدخل النمساويين، والإيطاليين الذين عملوا على إضعاف العربية مقابل تقوية الأبجدية اللاتينية، وفرضها، فدخول العثمانيين كان لحماية الأبجدية العربية، ودخول النمساويين، والإيطاليين؛ لأجل تغيير الأبجدية العربية؛ لأنها كانت الأكثر انتشاراً.

ومن هذا الضرب التدخل؛ لحماية الأبجدية جهود حكومة بروناي في المحافظة على الكتابة بالعربية، وكما ذكرنا سابقاً إنّ البروناويين ممن يتحدثون بالملايوية، وأول كتابة لهم كانت بالحروف العربية دخلت مع دخول الإسلام، وانتشرت بانتشاره، ومع دخول حركات الاستعمار أصبحت بروناي تحت حماية الحكومة البريطانية، ثم استقلت في أول يناير سنة ١٩٨٤م، وتؤكد الدولة الحديثة أنها تسعى للمحافظة على الثقافة الملايوية، وهي بطبيعة الحال مكتوبة بالعربية، فـ

"تتبنى دولة بروناي الحديثة فلسفة تتكون من ثلاثة عناصر رئيسية، وهي الإسلام، و الملايو، والمملكة"(١).

وللسلطان خطابات ألقاها في مناسبات عامة يؤكد فيها على المحافظة على الكتابة العربية، وأنها جزء من هوية الدولة، وثقافة الشعب البروناي، ويرغّب المواطنين ويحثهم على المشاركة في المحافظة عليها، والتعاون مع الحكومة على ذلك:

– " ١٥ يوليو ١٩٨٨م يقول: استخدام لغة الملايو خاصة في الشؤون الرسمية حسب القانون من مسؤولية جميع السكان، ومستوطني هذا البلد، وكذلك مسؤولون في تطوير استخدام الكتابة الجاوية"(٢).

والأبجدية الجاوية هي الأبجدية العربية مع زيادة بعض الحروف عليها.

– " ١٤ يناير١٩٩١م يقول: كثير من الأشياء المهمة تحتاج إلى النظر، مثل تطوير استخدامات الكتابة الجاوية، وتوسيعها كالخط القرآني، والخط الديني، والخط الوطني، فنحن لا نريد أن نفقد الكتابة الجاوية؛ لأنها ثروة عظيمة وحيدة نفتخر بها، وفقدها سيسبب إزالة شأننا، أو أهميتها، وفقد القومية وهلاك الدين، ليس هناك شيء يحزننا أكثر من سماعنا بأنه ما يزال هناك بعض المعلمين لا يعرفون الكتابة الجاوية، بل كثير منهم لا يجيدونها.

– ٢١ يوليو ١٩٩٢م يقول: للمسلمين أن يتحلوا على الأقل بقراءة الدعاء القصير المناسبالمستحب لهم، فلذا يجب علينا تعلم القراءة الجاوية، أو قراءة القرآن حتى نقرأ قراءة صحيحة"(٣).

لم يكتف السلطان بما في الدستور من التوكيد على المحافظة على الثقافة الملايوية، بل استغل المناسبات العامة في حث الشعب على التمسك بهوية الدولة،

(١) أبانغ حزمين/ الحرف العربي في برناوي/ ص ٥/ موقع الحرف العربي المنمط.

(٢) السابق / ص ٨

(٣) السابق/ ٨–٩

وقوميتها، وقد تجاوزت الحكومة البروناوية مجرد الخطابات، والبيانات، فظهر هذا التوجه في الميدان، فقد اشترط قسم المجلس البلدي أن تكون اللافتات في الأماكن العامة بالأبجدية العربية، ويمكن إضافة أبجديات أخرى بشرط أن تكون بخط أصغر من الخط العربي، ويكون الحرف العربي الأول في الترتيب(١).

أما إيران فإنها تنصّ في المادة الخامسة عشرة على أن اللغة والكتابة الرسمية والمشتركة؛ هي الفارسية لشعب إيران، فيجب أن تكون الوثائق والمراسلات والنصوص الرسمية والكتب الدراسية بهذه اللغة.

والكتابة الفارسية ـ كما هو معلوم ـ بالأبجدية العربية مع تغيير في شكل بعض الحروف؛ لتتناسب مع أصواتهم، وتأكيد الإيرانيين على الكتابة الفارسية في الدستور خطوة جيدة للمحافظة عليها، وإن كانت هناك مطالبات من بعض مثقفيهم بتغيير الخط الفارسي؛ لأنه يكتب بالأبجدية العربية، وهذه الدعوات لا تكاد تسلم منها دولة، ففي مصر العربية قامت مثل تلك الدعوات.

وليست الدول الإسلامية هي من يدافع عن أبجدتيها فقط، بل كلّ أمة تحترم تاريخها، وتعتز بقوميتها تستميت للمحافظة على أبجديتها، ففرنسا لا تقبل المساس بأبجديتها مع ما فيها من إشكالات يذكرها المتخصصون، بل هم يشعرون بصعوبتها، وتناقضاتها أحياناً(٢).

ولليابانيين موقف قوي أمام الإدارة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية، فقد أملت الولايات المتحدة الأمريكية قرارات عدة من بينها تغيير الأبجدية، لكنّهم رفضوا ذلك القرار بشدة، وقد لمست أمريكا الغضبة اليابانية فتراجعت عنه، وقد يقول قائل في هذا الموقف دليل على ضعف تأثير السياسة على الأبجدية،

(١) السابق/ ٧

(٢) لويس جان كالفي/ السياسات اللغوية / ترجمة محمد يحياتن/الدار العربية للعلوم ناشرون/ ص ٨٤

فالسياسة الأمريكية لم تستطع تغيير الأبجدية، وهذا حق فالسياسة الأمريكية لم تستطع تغيير الأبجدية؛ لأنها واجهت سياسة رافضة هذا التغيير.

وهاهي اليابان الآن من الدول الصناعية المتقدمة، ولم تمنعها أبجدتيها من الحضارة، والتقدم كما يزعم مثقفو العرب الذين يحملون اللغة، وأبجديتها تبعات تخلفهم.

– أثر السياسة في إصلاح الأبجدية، وتعديلها:

للسياسة ـ فيما يظهر لي ـ تأثير كذلك على تعديل الأبجدية؛ لتتوافق مع أصوات اللغة، ولكن لا نتوقع أن يمارس السياسي هذا التعديل بنفسه مباشرة، وإنما يعهد ذلك إلى أجهزة الدولة المتخصصة في الإصلاح اللغوي مثل: المجامع اللغوية، أو الجامعات، أو يسند العمل إلى لجان، وجمعيات، أو انه يقر عمل عالم توصل إلى أبجدية مناسبة، ثم يأتي دور السياسي بإقرار هذه الأبجدية، ونشرها، ودعهما.

هذه الصورة المتكررة في كثير من الإصلاحات الأبجدية، سياسة أبجدية مبنية على تخطيط من قبل الخبراء المتخصصين.

وقد ذكرتُ فيما مضى جهود الحكومة البرناوية في المحافظة على الأبجدية العربية، ومن جهودها كذلك في إصلاح الأبجدية؛ لتلبي حاجة اللغة الملايوية، ولمتابعة تطورات الأبجدية العربية أنشأت قسماً خاصاً للكتابة العربية ترعاه الدولة(١).

وليست الحكومة البرناوية هي الدولة الوحيدة التي أنشأت مثل هذه المؤسسة، فلا تكاد توجد دولة إلا لديها مؤسسات تُعنى بالتخطيط اللغوي، وخبراء يستشرفون مستقبل الأبجديات، وتطويعها لتقنيات العصر، فمصطفى أتاتورك قبل أن يلغي الأبجدية العربية أصدر قراراً بإنشاء لجنة؛ لوضع أبجدية مناسبة للغة التركية معتمدة على اللاتينية.

(١) أبانغ حزمين/ الحرف العربي في برناوي/ ص ٩ / موقع الحرف العربي المنمط

ومن الأمثلة كذلك على جهود السياسة، وتأثيرها في تعديل الأبجدية إقرار الدولة الماليزية وموافقتها على ما توصل إليه المجمع اللغوي الأدبي الماليزي بعد عقد مؤتمرات، وندوات عدة للوصول إلى نظام جديد للكتابة الجاوية، فأصدر المجمع في سنة ١٩٩٦م دليلا للكتابة الجاوية الجديدة(١).

ومن قبل استطاع أبو الأسود الدؤلي إصلاح الأبجدية العربية بعد طلب زياد، فقد "بعث إليه: اعمل شيئاً تكون فيه إماماً ينتفع الناس به وتُعرب به كتاب الله، فاستعفاه من ذلك حتى سمع أبو الأسود قارئاً يقرأ: (أن الله بريء من المشركين ورسوله)، فقال: ما ظننتُ أن أمر الناس صار إلى هذا فرجع إلى زياد فقال: أنا أفعل ما أمر به الأمير فليبغني كاتباً لقناً يفعل ما أقول، فأتى بكاتب من عبد القيس فلم يرضه فأتى بآخر قال أبو العباس أحسبه منهم. فقال له أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه فإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف فإن أتبعت شيئاً من ذلك غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين. فهذا نقط أبي الأسود"(٢).

وبعد ذلك بقيت مشكلة الحروف المتشابهة في الأبجدية العربية :ب،ت،ث، ج،ح،خ وكذلك س،ش، فحث الحجاج بن يوسف العلماء على حلها، وقد وُفق لذلك نصر بن عاصم الليثي، فأعاد ترتيب الحروف العربية، وفرّق بين المتشابه منها بالنقط، ثم جاء الخليل وغيّر نقط أبي الأسود الدؤلي، وحوّل تلك العلامات إلى الحركات المعروفة إلى اليوم.

إنّ نجاح الدولة لغوياً لا يقوم إلا بشرطين: سياسة لغوية حازمة مبنية على تخطيط لغوي، ومن المعلوم أنّ لكل دولة سياسة لغوية تستطيع معرفتها، واستنباطها من الخطابات، والمعاملات الرسمية للدولة، ومن التعليم، والإعلام

(١) محمد زكي عبدالرحمن/ إشكاليات استخدام الحروف العربية (الحرف القرآني) في ماليزيا/ص ٢١

(٢) السيرافي/ أخبارالنحويين البصريين (١ / ١٣)/ المكتبة الشاملة.

ويشمل القنوات الفضائية، والصحف، واللافتات في الأماكن العامة، والدعاية، وليس المقصود بسياسة الدولة اللغوية ما سُطر في الدستور، فقد تنصّ الدولة على أنّ اللغة العربية هي اللغة الرسمية، ولكن الواقع مخالف لذلك.

إنّ الفرق بين السياسة اللغوية الناجحة، والسياسة اللغوية المتخلفة يكمن في بناء السياسة الأولى على التخطيط، ومعرفة الوجهة، والهدف، وقيام الثانية على التخبط، والفوضوية، أو الرضوخ لإملاءات خارجية.

– الأغراض السياسية، والأهداف الإيديولوجية لتدخل السياسة في الأبجدية:

لا يمكن تصور هذه الحروب اللغوية الأبجدية، وما تنفقه السياسة فيها من جهد، ومال دون أن تحقق لها مكاسب، وتحقق لها أهدافاً، وفي هذا المحور سأتحدث عن أبرز الأهداف السياسية، والإيديولوجية التي يأمل السياسي في تحقيقها، والوصول إليها عن طريق الأبجدية.

– علاقة الأبجدية بالهوية:

الهوية في أبسط تعريفاتها: ما يميزك عن غيرك، وهذه هوية فردية، أو ما يميز مجتمعا عن آخر، وهذه هوية جماعية،فالهوية ترتكز على ما يتميز به قوم عن قوم، وما يختص به شعب عن آخر، وما تُعرف به جماعة من غيرها، فتكون الهوية بمثابة تعريف لها، وإعلان عنها، وكل ما يتبادر إلى الذهن من صفات عند استحضار فئة من الناس يُعد من الهوية، فالدين، واللغة، وتدخل فيها كتابتها، والعادات الاجتماعية في اللباس، والأكل، والتحية ... إلخ، كل ذلك يُعد من الهوية.

ومما يؤكد أنّ الأبجدية تعد من هوية الأمة، أو الدولة أنّ القرارات التي صدرت بتغيير الأبجدية عادة ما تصاحبها قرارات أخرى تتعلق بالهوية، يقول المستشرق الإيطالي نلّلينو عن حديثه عن استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية: إنّ "سبب هذا التغيير سياسي، وهو محاربة العنصر العربي، والدين الإسلامي. فهم

يريدون أن يزعموا أنّ المدنية التركية أقدمُ المدنيات، فهي تتصل بالمدنيات البابلية، والآشورية القديمة، ولا اتصال لها بالتمدن الإسلامي. ولهذا نجد حملة قوية تمثلت في كثير من المظاهر، كإبطال الأحوال الشخصية، وتطبيق القانون المدني السويسري، وإلغاء الطرق الصوفية، وتغيير الزي، ومحاكمة من يلبسون الطربوش، و التزام مواعيد العمل في رمضان كالعادة، وما إلى ذلك"(١).

كما أنّ أتاتورك أصدر قراراً بتحويل الأسماء العربية إلى أسماء تركية في محاولة لطمس الهوية العربية في تركيا.

وقد قام الملك فيليب بهذا العمل - محاولة لطمس الهوية العربية الإسلامية في الأندلس - قبل أتاتورك، فقد منع المسلمين من التحدث بالعربية، والكتابة بها، ومن كل ماله علاقة بهويتهم من لباس، ومعاملات، فحظر الحجاب، وألزم المسلمات بكشف الوجه، وارتداء معاطف وقبعات، ومنع أن تقام الحفلات في الأعياد، وغيرها على الطريقة الإسلامية، بل لا بد أن تتقيد بعُرف النصارى، وحرّم الخضاب بالحناء، ومنع استخدام الألقاب العربية(٢).

إنّ قضية الأبجدية لا يمكن عزلها عن مسألة الهوية، فالسياسة التي تدافع عن الأبجدية إنما تدافع عن وجودها، والأمة التي لا هوية لها هي أمة لا وجود لها يسهل انقيادها، ودخولها في أمم أخرى، وتصبح مفعولة لا فاعلة، وتابعة لا متبوعة.

- علاقة الأبجدية العربية بالدين الإسلامي:

أعلم أنّ عنصر الدين يدخل في هوية المجتمعات، ولكني أفردت الدين الإسلامي، وعلاقة الأبجدية العربية به؛ لكثرة الحروب عليه من خلال الأبجدية، فلذلك تجد عدو الدين الإسلامي - أحيانا - يدعم لغة أخرى غير لغته، وأبجدية تلك اللغة؛ ليزاحم بها العربية لغة الدين الإسلامي، وذلك مثل دعم الفرنسيين

(١) محمد محمد حسين/ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر/ مؤسسة الرسالة/ط الرابعة / ص ٣٨١

(٢) دولة الإسلام في الأندلس/ ج ٥/ ص٣٥٨-٣٦٠

للبربرية، ومثل دعم الحاكم البريطاني في باكستان الخط الناكري؛ لكتابة الأردية به بدلا من الأبجدية العربية.

إنّ الأبجدية العربية مرتبطة بالدين الإسلامي، بها كُتب القرآن، والسنة، وسطر التراث الإسلامي بحروفها، وقد فهم هذا الترابط أعداء الأمة الإسلامية، وأبناؤها، ولا ينكر ذلك إلا مكابر، أو جاهل.

والنتيجة المؤكدة لاستبدال أي أبجدية بالأبجدية العربية هي القطيعة مع مصادر الإسلام، وتراث الأمة، يقول المستشرق الألماني: "إنّ قراءة القرآن العربي، وكتب الشريعة قد أصبحت الآن مستحيلة بعد استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية"(١).

ويقول الدكتور حسن المعايرجي: "لقد رأيت بعيني أكواماً من أمهات الكتب بالحرف العربي في إحدى الدول الإسلامية يأكلها الإهمال والعفن؛ لأنها لا تجد من يعرف فك طلاسمها التي استغلقت على الجيل الجديد، بعد أن كتبها أباؤهم، وأجدادهم ليورثوها لهم لهدايتهم، فورثوا طلاسم، وأحاجي، وقطع السبيل بينهم، وبين تراثهم"(٢).

نعم قطعُ السبيل بين المسلمين، وأجدادهم كان هدفاً لأعداء الأمة، وكذلك شَرذَمة الأمة، وتفريقها من أهم أغراضهم، وكل ما من شأنه توحيد الأمة، وجمعها، فإنه مستهدف، والأبجدية العربية - ويسميها بعض المسلمين الحرف الشريف؛ لكتابة القرآن - مظهر من مظاهر الوحدة الإسلامية. يقول المستشرق الإنجليزي "جب" عند كلامه عن الوحدة الإسلامية: "إنّ من أهم مظاهرها الحروف العربية التي تستعمل في سائر العالم الإسلامي، واللغة العربية التي هي لغته الثقافية الوحيدة، والاشتراك من الكلمات، والاصطلاحات العربية الأصل"(٣).

(١) السيد رزق الطويل/ اللسان العربي والإسلام معا في معركة المواجهة/ منشور في الشبكة/ ص١٠٣

(٢) السابق/ ١٠٣-١٠٤

(٣) السابق/ ١٠٢

ليس العجب من ربط غير المسلمين الأبجدية بالإسلام، بل العجب من تهوين بعض علماء الأمتين العربية، والإسلامية من أمر الأبجدية، وكأنها مسألة هامشية، وتضخيمها ضربٌ من المبالغة،واشتغالٌ عما هو أهم، و أولى.

وأخيراً هل للأبجدية العربية، وانتشارها علاقة بانتشار الإسلام ؟

تقول مجلة "عالم المسلمين" وهي إحدى مجلات التنصير: "لقد قام المنصّرون الألمان في شرق إفريقيا باستبدال الحرف العربي الذي تكتب به اللغة السواحلية إلى الحرف اللاتيني، وذلك كوسيلة لوقف الزحف الإسلامي، ووقف عملية التعريب المستمرة في هذه البلاد، ويعتبر هذا التغيير ضربة قاسية للإسلام في شرق إفريقيا"(١).

ـ علاقة الأبجدية بنشر الثقافة، واللغة:

قد ثبت ذلك في اللغات التي تحولت من أبجدية لأخرى، فما تحويل الأبجدية إلا بوابة تفضي إلى تأثر اللغة بألفاظ، ومصطلحات جديدة، ونحن لا نتحدث عن التراض بين اللغات لبعض الألفاظ، فهذا أمر لا إشكال فيه، بل الشأن في دخول مفردات جديدة كثيرة تتحول معه اللغة إلى لغة أخرى، وقد وقع مثل هذا في الاتحاد السوفيتي، فعملت الإدارة الروسية ـ بعد تحويل أبجديات دول الإتحاد ـ على تحديث هذه اللغات، و"كما أشار ج. لويس من جهته إلى أنّ سبعين إلى ثمانين بالمئة من المقترضات آتية من الروسية"(٢).

وهذا ثابت فكثير من لغات الشعوب الإسلامية تأثرت بالألفاظ العربية، ولا شك أنّ هذه الألفاظ محملة بمعانٍ لا يمكن أن تنفك عنها بالكلية، فمن هنا تتأثر ثقافة المجتمع، وهذا التأثر مرده في الأساس إلى الأبجدية . يقول الدكتور يوسف الخليفة أبو بكر: "إنّ انتشار الحرف القرآني في لغات المسلمين قد يسّر عليهم قراءة

(١) السابق/ ١٠٣

(٢) حرب اللغات والسياسات اللغوية/ ٣١٠

كتاب الله بهذا الحرف، كما أنّ معرفة كتابة أية لغة بهذا الحرف القرآني يعتبر خطوة طيبة في اتجاه تيسير تعلّم اللغة العربية، ومن يتعلم كتابة لغته بالحرف العربي يرتبط نفسياً بمصدر هذا الحرف وهو القرآن الكريم، وثقافته، على عكس الأثر النفسي الذي تتركه كتابة اللغة بالحرف اللاتيني الذي يربط الفرد نفسياً بمصدر هذا الحرف، وهو الغرب المسيحي"(١).

وقد كانت القوى المتنافسة في ألبانيا مدركة لهذا الارتباط، وعلى الألبانيين الاختيار إما الأبجدية اللاتينية، وهي مرتبطة بالغرب، وإما العربية وهي مرتبطة بالشرق.

– علاقة الأبجدية بالاستقلال:

قد يتدخل السياسي في الأبجدية؛ ليؤكد استقلاله من هيمنة سياسية، أو ثقافية، وفي الغالب تحاول الأمة المستقلة مخالفة ما كانت عليه وقت استعمارها، واحتلالها، وتسعى لتكون لها هوية، ومظاهر خاصة بها نابعة من ذاتها، تنشئ شبابها على حبها، وتزرع في نفوسهم الانتماء إليها، فهاهي ذي لغات دول الاتحاد السوفيتي تغيّر الأبجدية الروسية بعد انحلال الاتحاد، وما فعله أتاتورك كذلك يعدّ من هذا القبيل، ولكنّه هرب من هيمنة إسلامية إلى هيمنة غربية، فهو استقلال من جهة، وخضوع، وتبعية من جهة أخرى.

هذه أهم الأهداف التي ظهرت لي، ولا أدعي حصرها، بل أحسب أنّ من يتأمل كثيراً من الوقائع التاريخية المرتبطة بالأبجديات سيخرج بأهداف أخرى.

تنبيهان:

التنبيه الأول:

قد أثبتنا فيما مضى تأثير السياسة على الأبجدية، ولكن ذلك لا يعني نجاح كلّ تدخل سياسي يروم تغيير السياسة، أو حمايتها، فاحتمال فشل السياسة قائم

(١) الحرف القرآني في لغات الشعوب الإسلامية/ ص١٣

ممكن إذا توفرت أسباب فشلها كما أنّ نجاحها ممكن، فقد تواجه السياسة بسياسة أخرى تنافسها في التأثير على الأبجدية كما في التجربة اليابانية حينما أصرت الإدارة اليابانية على التمسك بأبجدتيها، وحمايتها، وكفشل الإدارة العثمانية في حماية الأبجدية العربية في ألبانيا.

وقد تتهيب السياسة فرض الأبجدية مباشرة خوفاً من غضبة جماهيرية، لأنه يكشف مخططها للعامة فتلهب روح المقاومة في الشعوب، وتظهر لها عداوات قد تعرقل مسيرتها. يقول الشيخ سعيد الأفغاني: "كنت والأستاذ المرحوم محمد كرد علي في حديقة داره، فإننا لنتذاكر بعض الأمور، وإذا بالأستاذ يقف، ويتجه نحو باب الحديقة؛ ليستقبل زائرا طاعناً في السن يتقدم بخطى ثقيلة جداً ينقلها بصعوبة وبطء، وكلما رفع رجلاً وحطها تقلقل كل عظم في بدنه، وبعد دقيقتين تقطع العشرين مترا من الباب، والمجلس، فقدمه لي الأستاذ بقوله: (مرغليوث)، وعرفه بي، فهز رأسه هزّ العارف. لم يطل مجلسه أكثر من نصف ساعة عرفت فيه أنّ حكومته أوفدته بمهمة من لندن ليبيت ليلة في دمشق، وثانية في القدس ليحط الثالثة في مطار طهران على موعد من الشاه، وعجبت: أما تجد حكومته غير هذا الشيخ المخلع الفاني ليقوم بمهامها، ويدعم إمبراطوريتها، ثم زال عجبي حين رأيته يهجم على موضوعه دون تلبث، فيناقش الأستاذ كرد علي، ما الذي أبطأ بالبلاد العربية عن الاقتداء بتركية في اتخاذ الحروف اللاتينية؟ ولمَ أضاعوا على أنفسهم هذا الرقي الباهر؟

فأجابه الأستاذ بلطف وسعة صدر... مشيراً إلى خطأ هذه الفكرة، وأن وراءها أضرارا على العرب لا تحصى، وأنّ الأتراك أنفسهم أضاعوا مركزهم في الشرق بتبديل حروفهم... فمارى مرغليوث في كل ما سمع، وقال إنّ أمله وطيد في أن يحذو الشاه حذو (أتاتورك)، وأنّ العرب لا يحملهم على تغيير كتاباتهم إلا

حاكم قوي مثل أتاتورك، أو الشاه (بهلوى)، وأنّه مسافر إلى طهران لدراسة أسباب تأخر الشاه عن المبادرة إلى فرض الأحرف اللاتينية"(١).

قد أدركت الإدارة البريطانية ضعف حكام العرب، وأنّ الخيار الأمثل لإقناع الشعب أن يأتي التغيير عن طريق العلماء؛ لتتقبله العامة، وهذا واضح من كلام مرغليوث، و تصرفاته، ففي الدول العربية عقد اللقاء مع أحد علمائها، أما في إيران فطلب لقاء الشاه نفسه.

التنبيه الثاني:

أخشى أن يبني القارئ للبحث صورة عن وضع الأبجدية العربية في العالم، فإذا فعل ذلك، فقطعاً ستكون صورة مشوهة مخالفة للواقع، لأن البحث ليس من أهدافه رصد واقع الأبجدية العربية في العالم، وإنما هدفه معرفة علاقة السياسة بالأبجدية، واختار الباحث للوصول إلى هدفه نماذج تبين هذه العلاقة، وتؤكدها.

أما واقع الأبجدية العربية فهو أفضل من واقعها في وقت الاستعمار، وأكتفي بإحالة القارئ إلى مشروع كتابة لغات الشعوب الإسلامية بالحرف العربي المنمط، فهو مشروع جدير بدعم قادة الدولة الإسلامية، ومفكريها.

(١) سعيد الأفغاني / من حاضر اللغة العربية / ص ٩٠ / منشور في الشبكة.

الخاتمة

وبعد، فأختم هذا البحث بأبرز ما توصلت إليه من نتائج بعد التنظير والعرض:

ـ للأبجدية علاقة بالسياسة، فالسياسة لها أثر في تغييرها، وحمايتها، وإصلاحها .

ـ ثبت فشل بعض التدخلات السياسية لتغيير الأبجدية إما بسبب سياسة عارضتها، أو خوفاً من غضبة الشعوب.

ـ تأثرت الأبجدية العربية بالاستعمار، وتراجع انتشارها، وتقلّص دورها في اللغات.

ـ اهتمام السياسة بالأبجدية ليس عبثاً، وإنما لتحقيق أهداف، وللوصول لأغراض سياسية، و إيديولوجية، فالأبجدية مظهر من مظاهر الهوية، ووعاء من أوعية ثقافة الأمة، و سبب في امتدادها زماناً، ومكاناً، ورمز لوحدتها، فاجتماع الأمة على أبجدية واحدة دليل وحدةٍ، وتعدد الأبجدية في الأمة الواحدة نوع من أنواع الفرقة.

ـ تعدُّ الأبجدية بوابة للغزو اللغوي، والثقافي، فمع الأبجدية الجديدة تدخل ألفاظ كثيرة محملة بمعانيها، وما تحمله من مفاهيم.

ـ الأبجدية المستوردة الغريبة عن ثقافة الدولة نوع من أنواع الخضوع، ودليل انهزامية، وتبعية.

ـ ارتباط الأبجدية العربية بالقرآن اكسبها حباً، وإقبالاً من الشعوب الإسلامية غير العربية، وهذه نقطة قوة يجب استثمارها؛ لنشر الحرف العربي.

والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعه إلى يوم الدين .

المراجع

- الحسن بن عبدالله السيرافي / أخبار النحويين البصريين / المكتبة الشاملة.
- سعيد الأفغاني / من حاضر اللغة العربية / منشور في الشبكة.
- السيد رزق الطويل / اللسان العربي والإسلام معا في معركة المواجهة / منشور في الشبكة.
- لويس جان كالفي / حرب اللغات والسياسات اللغوية / ت: حسن حمزة / المنظمة العربية للترجمة.
- لويس جان كالفي / السياسات اللغوية / ت محمد يحايتن / الدار العربية للعلوم ناشرون.
- محمد الصاوي / كتابة الحروف العربية باللاتينية: الأبعاد السياسة والتربوية / منشور في الشبكة.
- محمد عبد الله عنان / دولة الإسلام في الأندلس / مكتبة الخانجي بالقاهرة / ط الرابعة / نسخة إلكترونية (الوقفية).
- محمد موفاكو / الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية / عالم المعرفة.
- محمد محمد حسين / الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر / مؤسسة الرسالة / ط الرابعة.
- موقع الحرف العربي المنمط: http://alharfalarabi.org/Papares.asp